البابُ الخَامِسُ

في الفَرْقِ بَيْنَ الْحَياة والنَّماء والحَيّ والحَيوان وبَيْنَ الحياة والعَيْش والرُّوح[1] ومَا يُخَالف ذلك، وفي الفرق بَيْنَ الحياة والقُدْرة والاسْتِطَاعَة والقُوَّة والقُدْرة وما يَقْرُبُ من ذلك، والفَرْق بَيْنَ ما يُضَادُّهُ ويُخَالفُه

«الفرق» بين الحياة والنماء أن الحياة هي ما تصير به الجملة كالشيء الواحد في جواز تعلق الصفات بها، فأما قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[فاطر: ٩]، فمعناه أنا جعلنا حالها كحال الحيِّ في الانتفاع بها، والصفة لله بأنه حي مأخوذة من الحياة على التقدير، وقد دلَّ الدليل على أن الحيَّ بعد أن لم يكن حيًّا حيٌّ من أجل الحياة، فالذي لم يزل حيًّا ينبغي أن يكون حيًّا لنفسه، والنَّماء يزيد الشيء حالًا بعد حال من نفسه لا بإضافة إليه، فالنبات ينمي ويزيد وليس بحيٍّ والله تعالى حَيٌّ ولا ينام، ولا يقال لمن أصاب ميراثًا أو أُعْطِيَ عَطِيَّة أنه قد نما ماله وإنما يقال: نما مالُه: إذا زَاد في نفسه، والنَّماء في الماشية حقيقة لأنها تزيد بتوالُدِها قليلًا قليلًا، وفي الورق[2] والذهب مجاز فهذا هو الفرق بين الزيادة والنماء، ويقال للأشجار والنبات نَوَام، لأنها تزيد في كل يوم إلى أن تنتهي إلى حدِّ التمام.

«الفرق» بين الحيِّ والحيوان، أن الحيوان هو الحي ذو الجنس، ويقع على الواحد والجمع، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[العنكبوت: ٦٤]، فقد قال بعضهم: يعني البقاء يريد أنها باقية، ولا يوصف الله تعالى بأنه حيوان؛ لأنه ليس بذي جنس.

«الفرق» بين الحياة والعَيْش، أن العيش اسم لما هو سبب الحياة من الأكل والشرب وما بسبيل ذلك، والشاهد قولهم معيشة فلان من كذا يعنون مأكله ومشربه مما هو سبب لبقاء حياته، فليس العيش من الحياة في شيء.

«الفرق» بين الحياة والرُّوح أن الرُّوحَ من قرائن الحياة، والحياة عرض والروح جسم رقيق من جنس الريح، وقيل هو جسم رقيق حساس، وتزعم الأطباء أن موضعها في الصدر من

(١) الروح: بضم الراء المشددة بخلاف الروح بفتح الراء المشددة، فالأولى بمعنى النَّفْس، والنَّفَس، والجمع أرواح وتطلق على القرآن، والوَحْي، أمَّا الثانية فبمعنى الراحة، ونسيم الريح.

(٢) الورِق: بفتح الواو وسكون الراء: أي الفضة.

الحجاب والقلب، وذهب بعضهم إلى أنها مبسوطة في جميع البدن وفيه خلاف كثير ليس هذا موضع ذكره، والروح والريح في العربية من أصل واحد، ولهذا يستعمل فيه النفخ، فيقال نفخ فيه الرُّوح وسُمِّي جبريل عليه السلام رُوحًا؛ لأن الناس ينتفعون به في دينهم كانتفاعهم بالرُّوح ولهذا المعنى سُمِّي القرآن رُوحًا.

«الفرق» بين الرُّوح والمُهْجَة والنفس والذات، أن المُهْجَة خالص دم الإنسان الذي إذا خرج خرجت رُوحه وهو دم القلب في قول الخليل، والعرب تقول: سالت مُهجهم على رماحنا، ولفظ النفس مشترك يقع على الروح وعلى الذات، ويكون توكيدًا، يقال: خرجت نفسُه أي رُوحه، وجاءني زيد نفسُه بمعنى التوكيد، والسواد سواد لنفسه كما تقول لذاته، والنفس أيضًا الماء، وجمعه أنفاس، قال جرير:

تَعَلَّلُ وَهِيَ شَاغِبَةٌ بِفِيها ... بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَبِمِ القَرَاحِ

والنفس ملء الكف من الدباغ والنفس التي تستعد بمعنى الذات ما يصح أن تدل على الشيء من وجه يختص به دون غيره، وإذا قلت هو لنفسه على صفة كذا فقد دللت عليه من وجه يختص به دون ما يخالفه، وقال علي بن عيسى: الشيء، والمعنى، والذات نظائر وبينها فروق، فالمعنى المقصود ثم كثر حتى سُمِّي المقصود معنى، وكل شيء ذات وكل ذات شيء، إلا أنهم ألزموا الذات الإضافة، فالوا: ذات الإنسان وذات الجوهر ليحققوا الإشارة إليه دون غيره، قلنا: ويعبر بالنفس عن المعلوم في قولهم قد صحَّ ذلك في نفسي، أي قد صار في جملة ما أعلمه ولا يقال صحَّ في ذاتي.

ومِمَّا يُضَادُّ الحياةَ الموتُ

«الفرق» بين الموت والقتل أن القتل هو نقض البنية الحيوانية، ولا يقال له: قتل في أكثر الحال، إلَّا إذا كان من فعل آدمي، وقال بعضهم: القَتْل إماتة الحركة ومنه يقال: ناقة مقتلة إذا كثر عليها الإتعاب حتى تموت حركتها، والموت عرض أيضًا يُضَاد الحياةَ مضادة الروك ولا يكون إلا من فعل الله، والميتة: الموت بعينه إلَّا أنه يدل على الحال، والموت ينفي الحياة مع سلامة البنية، ولابدَّ في القتل من انتقاض البنية، ويقال لمن حبس الإنسان حتى يموت أنه قتله ولم يكن بقاتل في الحقيقة لأنه لم ينقض البنية، ويُستعار الموت في أشياء، فيقال: مات قلبه إذا صار بليدًا ومات المتاع، أي كسد، ومات الشيء بينهم: نقص، وحظ ميت: ضعيف ونبات ميت: ذابل ووقع في المال موتَان إذا تماوتت ومَوتَان الأرض إذا لم تعمر.

«الفرق» بين القَتْل والذَّبْح، أن الذبح عمل معلوم، والقتل ضُروبٌ مختلفة، ولهذا منع الفقهاء عن الإجارة على قتل رجل قَصَاصًا ولم يمنعوا من الإجارة على ذبح شاة؛ لأن القتل منه لا يُدْري أيقتله بضربة أو بضربتين أو أكثر وليس كذلك الذبح.

«الفرق» بين الفَنَاء والنَّفَاد أن النفاد هو فناء آخر الشيء بعد فناء أوله، ولا يستعمل النَّفَاد فيما يفنى جملة، ألا ترى أنك تقول: فَناءُ العالم ولا يقال نَفَادُ العالم ويقال نفاد الزَّاد ونفاد الطَّعام؛ لأن ذلك يفنى شيئًا فشيئًا.

«الفرق» بين الإهلاك والإعدام، أن الإهلاك أعمُّ من الإعدام، لأنه قد يكون بنقض البنية وإبطال الحاسة وما يجوز أن يصل معه اللذة والمنفعة، والإعدام نقيض الإيجاد فهو أخصُّ، فكل إعدام إهْلَاك وليس كل إهلاك إعْدَامًا.

«الفرق» بين الحياة والقدرة أن قدرة الحي قد تتناقص مع بقاء حياته على حدٍّ واحد، ألا تَرى أنه قد يتعذَّر عليه في حال المرض والكبر كثير من أفعاله التي كانت مناسبة له مع كون إدراكه في الحالين على حَدٍّ واحد فيعلم أن ما صح به أفعاله قد يتناقص وما صحَّ به إدراكه غير متناقص؟ وفرق آخر أن العضو قد يكون فيه الحياة بدليل صِحَّة إدراكه، وإن لم تكن فيه القدرة كالأذن، ألا ترى أنه يُتعذَّر تحريكها مباشرًا وإن كانت منفصلة؟ وفرق آخر أن الحياة جنس واحد والقدرة مختلفة ولو كانت متفقة لقدرتا بقدرتين على مقدور واحد.

«الفرق» بين القدرة والقَهر أن القدرة تكون على صغير المقدور وكبيره، والقَهْر، يدل على كبر المقدور، ولهذا يقال: مَلِكٌ قَاهِر إذا أُرِيد المبالغة في مَدْحه بالقدرة، ولا يقال في هذا المعنى مَلِكٌ قادر؛ لأن إطلاق قولنا قادر لا يدل على عظيم المقدور كما يدل عليه إطلاق قولنا قاهر.

«الفرق» بين القَهْر والغَلَبة أن الغلَبة تكون بفضل القدرة وبفضل العلم يقال: قاتله فغلَبه وصارعه فغلبه وذلك لفضل قدرته، وتقول: حاجَّهُ فغلبه ولاعَبهُ بالشطْرنج فغلبه بفضل عِلمه وفِطْنته، ولا يكون القهر إلا بفضل القدرة، ألَا ترى أنك تقول: ناوأهُ فَقَهرَهُ ولا تقول: حاجَّه فَقَهرهُ ولا تقول قَهرهُ بفضل عِلْمه كما تقول غلبه بفضل عِلْمه؟

«الفرق» بين الغَلَبَة والقُدرة، أن الغَلَبة من فعل الغالب وليست القدرة من فعل القادر، يقال: غلب خصمه غلبًا كما تقول طلب طلبًا، وفي القرآن ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[الروم:٣]، وقولهم: الله غالبٌ من صفات الفعل وقولنا له: قاهر من صفات الذات، وقد يكون من صفات الفعل، وذلك أنه يفعل ما يصير به العدو مقهورًا، وقال علي

ابن عيسى: الغالب: القادر على كَسْر حَدِّ الشيء عند مقاومته باقتداره؛ والقاهر: القادر على المُسْتَعْصَبِ[1] من الأمور.

«الفرق» بين القادر والمُقيت أن المُقيت على ما قال بعض العلماء: يجمع معنى القدرة على الشيء والعلم به، قال والشاهد قول الشاعر:

أليَ الفضلُ أم عليَّ إذا حُو ... سبت إني على الحساب مُقيتُ

قال: ولا يمكن المحاسبة لها مع القدرة عليها والعلم بها وفي القرآن: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾[النساء:٨٥] أي مقتدرًا علي كل شيء عالمًا به، وقال غيره: المقيت على الشيء الموقوف عليه، وقيل هو المقتدر وأنشد:

وذي ضَغْن كَففتُ الظَّعْنَ عنه ... وكُنْتُ على إساءته مُقِيتًا[2]

وقيل: هو المجازي كأنه يجعل لكل فعل قدرة من الجزاء، والقدرة والقوت متقاربان وقال ابن عباس: مُقيتًا حفيظًا وقال مجاهد: شهيدًا وحفيظًا حسيبًا، وقال الخليل: المقيت: الحافظ والحفيظ أشبه الوجوه، لأنه مشتق من القوت، والقوت يحفظ النفس فكان المقيت الذي يعطي الشيء قدر حاجته من الحفظ، وحكى الفراء، يقوت ويقيت.

«الفرق» بين القادر والقوى أن القويَّ هو الذي يقدر على الشيء وعلى ما هو أكثر منه، ولهذا لا يجوز أن يقال للذي استفرغ قدرته في الشيء أنه قوي عليه وإنما يقال له: إنه قوي عليه إذا كان في قدرته فضل لغيره، ولهذا قال بعضهم: القوي القادر العظيم الشأن فيما يقدر عليه.

«الفرق» بين قولك قادر عليه وقادر على فعله أن قولك قادر عليه يفيد أنه قادر على تصريفه، كقولك فلان قادر على هذا الحجر أي قادر على رفعه ووضعه وهو قادر على نفسه، أي قادر على ضَبْطها، ومنعها فيما تنازع إليه، وقادر على فعله يفيد أنه قادر على إيجاده فبين الكلمتين فَرْقٌ.

«الفرق» بين القادر على الشيء والمالِك له، أن الملك يُضاف إلي المقدور وغير المقدور نحو: «زيد مالك للمال» وليس بقادر عليه فالقادر على الشيء قادر على إيجاده والمالك للشيء مالك لتصريفه، وقد يكون المالك بمعنى القادر سواءً وهو قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ويوم الدين لم يوجد فيملك، وإنما المراد أنه قادر عليه، والملك في الحقيقة لا يكون إلا لموجود، والقدرة لا تكون على الموجود.

(١) اعْصَوْصَبَ الأمْرُ: أي اشتدَّ.
(٢) الضَّغْن: الكراهية والحقد.

«الفرق» بين القُوَّة والشِّدَّة، أن الشدة في الأصل هي مبالغة في وصف الشيء في صلابة وليس هو من قبيل القدرة، ولهذا لا يقال لله شديد، والقوة من قبيل القدرة على ما وصفنا، وتأويل قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩]، أي أقْوَى منهم، وفي القرآن: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، أي العظيم الشأن في القوة وهو اتساع.

«الفرق» بين الشِّدة والجلَد أن الجلد صلابة البدن، ومنه الجِلْد لأنه أصلب من اللحم، والجلد الصلب من الأرض وقيل يتضمَّن الجلد معنى القوة والصبر، ولا يقال لله: جليد لذلك.

«الفرق» بين الشدَّة والصُّعوبة أن الشدة ما ذكرناه، والصعوبة تكون في الأفعال دون غيرها يقال: صعب على الأمر يعني أن فعله صعب عليك ورجل صَعْب أي مقاساته صعبة، وفيها معنى الغلبة لمن يزاولها، ومن ثَمَّ سُمِّي الفَحْل الشديد الغالب مصْعبًا[1]، فالصعوبة أبلغ من الشدة، وقد يكون شديد غير صعب إذا استُعْمِل فيما يُستعمل فيه الصعب ولا صعب إلَّا شديد.

«الفرق» بين القوة والمتانة، أن المتانة صلابة في ارتفاع، والمتْنُ من الأرض الصَّلْب المرتفع والجمع مَتَانٍ، ومنه سُمِّي عقب الظهر متنًا، والصَّلابة قريبة من ذلك، ولا تجوز الصفة بالصلابة والمتانة على الله، فأما قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] فالمتين في أسمائه مبالغة في الوصف بأنه قوي، وهو في الله توسُّع؛ لأن المتانة في الأصل نقيضة الرَّخَاوة فاستُعْمِلَتْ في نقيض الضعف للمبالغة في صفة القوة، والله أعلم.

«الفرق» بين القدرة والمنَّة أن المِنَّة تفيد أنها قدرة للمبالغة تقطع بها الأعمال الشاقة، وأصل الكلمة القطع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] أي مقطوع، والمنون: المنية لأنها قاطعة عن التصرف بالحياة، وقيل للامتنان بالنعمة: امتنان لأنه يقطع الشكر.

«الفرق» بين الشِّدَّة والصَّلابة، أن الصلابة هي التئام الأجزاء بعضها إلى بعض من غير خَلل مع يُبوسَة فيها، والشدة هي التزاق الأجزاء بعضها ببعض سواءٌ كان الموصوف بها ملتئمًا أو متحلِّلًا، والشدة مبالغة في وصف الشيء والصلابة خلفه واستعمالها في موضع الصلابة استعارة.

(١) المُصْعَب: من الرجال، أي المُسوَّد، ومن الإبل: أي الفَحْل يُعْفى من الركوب.

«الفرق» بين القوة والشَّهامة، أن الشهامة خُشُونة الجانب مأخوذة من الشَّيْهَم[1] وهو ذَكَر القَنَافِذ، ولا يُسمَّى الله شَهْمًا لذلك.

«الفرق» بين الشَّهامة والجزَالة، أن الجزالة أصلها شدة القطع، تقول: جَزلتُ الشيء إذا قطعته بشدة وقيل: حطب جَزل إذا كان شديد القطع صَلْبًا، وإذا كان كذلك كان أبقى على النار فشبَّه به الرجل الذي تبقى قوته في الأمور، فسُمِّي جَزلًا ولا يوصف الله به.

«الفرق» بين الشجاعة والبَسَالة، أن أصل البَسْل الحرام فكأن الباسل حرام أن يصاب في الحرب بمكروه لشدته فيها وقوته، والشجاعة: الجُرْأة، والشجاع: الجريء المقدام في الحرب ضعيفًا كان أو قويًّا، والجرأة: قوة القلب الدَّاعي إلى الإقدام على المكاره، فالشجاعة تُنبئ عن الجرأة والبسالة تنبئ عن الشدة والقوة، يجوز أن يكون الباسل من البسول وهي تكره الوجه مثل البثور وهما لغتان، وسُمِّي بَاسِلًا لتكرهه ولا تجوز الصفة بذلك على الله تعالى.

«الفرق» بين الشجاعة والنَّجْدة، أن النجدة حسن البدن وتمام لحمه وأصلها الارتفاع، ومنه سُمِّيت بلادهم المرتفعة نَجْدًا، وقيل للنجاد نجاد لأنه يحشو الثياب فترتفع ثم قيل للشجاعة نجدة؛ لأنها تكون مع تمام الجسم في أكثر الحال.

ومِمَّا يَجْري مع ذَلِكَ

«الفرق» بين الصَّلَابة والقَسْوَة أن القَسْوَة تُستعمل فيما لا يقبل العلاج ولهذا يوصف بها القلب وإن لم يكن صَلْبًا.

«الفرق» بين القُدرة والصِّحَّة، أن الصحة يوصف بها المحل والآلات، والقدرة تتعلق بالجملة فيقال: غير صحيحة وحاسَّة صحيحة، ولا يقال: عين قادرة وحاسة قادرة.

«الفرق» بين الصحة والعافية، أن الصحة أعمُّ من العافية يقال: رجل صحيح وآلة صحيحة وخشبة صحيحة إذا كانت ملتئمة لا كسر فيها ولا يقال خشبة معافاة، وتستعار الصحةُ فيقال: صححت القول وصحَّ لي على فلان حق، ولا تستعمل العافية في ذلك، والعافية مقابلة المرض بما يضاده من الصحة فقط والصحة تنصرف في وجوه على ما ذكرنا، وتكون العافية ابتداءً من غير مرض وذلك مجاز كأنه فعل ابتداء ما كان من شأنه أن ينافي المرض، يُقال: خلقه الله معافى صحيحًا ومع هذا فإنه لا يُقال: صحَّ الرجل ولا عُوفِي إلا بعد مرض يناله،

(١) الشَّيْهم: حيوان من القوارض له شَوْك طويل، من فصيلة القنافذ، ويُسمَّى الدُّلْدُول أيضًا، والجمع «شياهم».

والعافية مصدر مثل العاقبة والطاغية، وأصلها التَّرْك من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[البقرة:١٧٨]، أي ترك له، وعَفَتِ الدار: تركت حتى درست ومنه «اعْفُوا اللِّحَى» أي اتركوها حتى تطول، ومنه العفو عن الذنب وهو ترك المعاقبة عليه، وعافاه الله من المرض تركه منه بضده من الصحة، وعفاه يعفوه واعْتفاه يعْتفيه إذا أتاه يسأله تاركًا لغيره.

«الفرق» بين الصِّحة والسَّلامة، أن السلامة نقيضة الهلاك ونقيض الصحة الآفة من المرض والكسر وما بسبيل ذلك، ألا تَرضى أنه يقال: سَلِمَ الرجلُ من عِلَّته، إذا كان يخاف عليه الهلاك منها أو على شيء من جسده، وإذا لم يكن يخاف عليه ذلك منها لم يقل سلم منها، وقيل صحَّ منها، هذا على أن السلامة نقيضة الهلاك وليست الصحة كذلك، وفي هذا وقوع الفرق بينهما، ثم كَثُر استعمال السلامة حتى قيل للمتبرئ من العَيْب سالم من العيب، والسلامة عند المتكلمين زوال الموانع والآفات عن من يجوز عليه ذلك ولا يقال لله: سالمٌ؛ لأن الآفات غير جائزة عليه ولا يقال له صحيح لأن الصحة تقتضي منافاة المرض والكسر ولا يُجوزان على الله تعالى:

«الفرق» بين القُدرة والطاقة، أن الطاقة غايةُ مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور، يقال: هذا طاقتي أيْ قَدْر إمكاني، ولا يقال لله تعالى: مُطِيق لذلك.

«الفرق» بين القُدْرة والاستطاعة، أن الاستطاعة في قولك: طاعَتْ جَوارحُه للفعل، أي انقادَتْ له، ولهذا لا يوصف الله بها، ويقال: أطاعَه، وهو مُطيع وطاع له وهو طائع له إذا انْقاد له، وجاءت الاستطاعة بمعنى الإجابة، وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[المائدة: ١١٢]، أي هل يجيبك إلى ما تسأله، وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[الكهف:١٠١] فمعناه أنه يثقل عليهم استماع القرآن ليس أنهم لا يقدرون على ذلك، وأنت تقول: لا أستطيعُ أن أبصرَ فلانًا، تريد أن رؤيته تثقل عليك.

«الفرق» بين العزيز والقاهر، أن العزيز هو الممتنع الذي لا ينال بالأذى، ولذلك سُمِّي أبو ذؤيب العقاب عزيزة، لأنها تتخذ وكرها في أعلى الجبل، فهي ممتنعة على من يريدها، فقال:

حتَّى انتهيتُ إلى فـراشِ عَـزيـزةٍ سَـوْداء رؤبـة أنفها كالمخصَفِ

ويقال: عزّ يعز إذا صار عزيزًا وعزَّ يعزُّ عزًّا إذا قهر باقتدار على المنع والمثل من عزيز، والعزاز: الأرض الصلبة لامتناعها على الحافر بصلابتها كالامتناع من الضَّيْم، والصفة بعزيز لا تتضمَّن معنى القهر، والصفة بقاهر تتضمَّن معنى العز، يقال: قهر فلان فلانًا، إذا غلبه وصار مقتدرًا على إنفاذ أمْره فيه.

«الفرق» بين قولك العزيز وبين قَوْلك عزيزي أن قولك عزيزي بمعنى حبيبي الذي يعز عليك فقده لميل طبعك إليه، ولا يوصف العظماء به مع الإضافة، وليس كذلك السيد وسيدي لأن الإضافة لا تقلب معنى ذلك إلا بحسب ما تقتضيه الإضافة من الاختصاص.

«الفرق» بين القادر والمتمكِّن أن التمكُّن مضمن بالآلة والمكان الذي يتمكَّن فيه، ولهذا لا تجوز الصفة به على الله تعالى، وصفة القادر مطلقة؛ لأنه لا يجوز أن يَسْتغني بنفسه عن القدرة كما يستغني بها عن الآلة في الكتابة ونحوها، ويقال: مكَّنه ومكَّن له، قال بعضهم: معناهما واحد، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾[الأنعام:٦] قال: فجاء باللغتين للتوسُّع في الكلام، والصحيح أن مكنت له: جعلت له ما يتمكن به، ومكنته: أقدرته على ملك الشيء في المكان.

«الفرق» بين التَّمكين والإقْدار أن التَّمكين إعطاء ما يصحُّ به الفعل كائنًا ما كان من الآلات والعدد والقوى، والإقْدار إعطاء القدرة وذلك أن الذي له قدرة على الكتابة تتعذَّر عليه إذا لم يكن له آلة للكتابة ويتمكن منها إذا حضرت الآلة، والقدرة ضد العجز، والتمكُّن ضد التعذُّر.

الفَرْقُ بين ما يُضَادُّ القُدْرَةَ ويُخَالِفُها

«الفرق» بين العَجْز والمَنْع أن العجز يضاد القدرة مضادة التروك، ويتعلق بمتعلقها على العكس، والمنْع ما لأجله يتعذر الفعل على القادر، فهو يضاد الفعل وليس يضاد القدرة، بل ليس يُسَمَّى مَنْعًا إلا إذا كان مع القدرة فليس هو من العجز في شيء.

«الفرق» بين المَنْع والكَفِّ أن المنْعَ ما ذكرنا، والكفُّ على ما ذكر بعضهم يُسْتَعْمل في الامتناع عما تدعو إليه الشهوة، قال: والإمساك مثله، يقال: «كَفَّ عَنْ زيارة فلانٍ» و«أمْسَك عن الإفْطار»، وليس الأمر كما قال، بل يُسْتعمل الإمساك والكفُّ فيما تدعو إليه الشهوة وفيما لا تدعو إليه، يقال: كَفَّ عن القتال كما يقال كَفَّ عن شُرْب الماء وأمسك عن ذلك أيضًا، وأصل الإمْسَاك حَبْسُ النَّفْس عن الفعل، ومنه المسَاكُ، وهو مكان يمسك الماء أي يحبسه، والجمع مسك، والمسكة السوار سُمِّي بذلك، لأنه يلزم المعصم فهو كالمحبوس فيه، والماسكة جلدة تكون على وجه الولد في بطن أمه لأنها محيطة به كإحاطة الحبس بالمحبوس، واستمسك الشيء وتماسك كأن بعضه احتبس على بعض، ونقيض الاستمساك الاسترسال ونقيض الإمساك الإرسال، وأصلُ الكَفِّ الانقباض والتجمُّع، ومنه سُمِّيت الكف كفًّا لأنها تقبض على الأشياء وتجتمع، ويقال: جاءني الناس كافَّة، أي جميعًا، فالكفُّ عن الفعل هو الامتناع

عن مُوالاة الفعل وإيجاده حالًا بعد حال، خلاف الانبِسَاط فيه، وإنما قلنا ذلك؛ لأن أصله الانقباض وخلاف الانقباض الانبساط، والإمساك: حَبْسُ النَّفْس عن الفعل على ماذكرنا، فالفرق بينهما بَيِّنٌ.

«الفرق» بين الكفِّ والتَّرْكُ، أن التَّرْك عند المتكلمين فعل أحد الضدين اللَّذين يقدر عليهما المباشر، وقال بعضهم: كل شيئين تضادَّا وقدر عليهما بقدرة واحدة مع كون وقت وجودهما وقتًا واحدًا، وكانا يحلَّان محل القدرة وانصرف القادر بفعل أحدهما عن الآخر سُمِّي الموجود منهما تَرْكًا وما لم يوجد متروكًا، والتَّرْك عند العرب تخليف الشيء في المكان الذي هو فيه والانصراف عنه، ولهذا يُسمُّون بَيْضَة النعامة إذا خرج فَرْخُها تَرِيكَةَ[1] لأن النعامة تنصرف عنها، والتَّريكة: الروضة يغفلها الناس ولا يرعونها.

«الفرق» بين التَّرْك والتَّخْلية أن الترك هو ما ذكرنا، والتخلية للشيء نقيض التوكيل به، يُقَال: خلاه إذا أزال التوكيل عنه كأنه جعله خاليًا لا أحد معه، ثم صارت التخلية عند المتكلمين تَرْك الأمر بالشيء والرغبة فيه والنهي عن خلافه، ويقولون: القادرة مُخَلَّى بينه وبين مقدوره أي لا مانع له منه، شُبِّه بمَنْ ليس معه موكِّل يمنعه من تصرفاته.

«الفرق» بين قولك تركتُ الشيءَ وقولك لَهَيْتُ عنه، أنه يقال: لهيتُ عنه إذا تركته سهوًا أو تشاغلًا، ولا يقال لمن ترك الشيء عامدًا أنه لهي عنه، وقول صاحب الفصيح: لهيتُ عن الشيء إذا تركته غلط، ألَا ترى أنه لا يقال لمن ترك الأكل بعد شبع أو الشرب بعد الرِّيِّ أنه لهى عن ذلك، وأصله من اللهو ميل الانفعال والمطاوعة.

«الفرق» بين التخلية والإطلاق، أن الإطلاق عند الفقهاء، كالإذن، إلَّا أن أصل الإذن أن يكون ابتداءً والإطلاق لا يكون إلا بعد نَهْي، ثم كثر حتى استُعْمِل أحدهما في موضع الآخر، والإطلاق مأخوذ من الطلق وهو القيد أطلقه إذا فكَّ طلقه، أي قيده، كما تقول أنشط إذا حلَّ الأنشوطة، ومنه طلق المرأة وذلك أنهم يقولون للزوجة إنها في حبال الزوج، فإذا فارقها قيل طلَّقها كأنه قطع حبلها وإنما قيل في الناقة أطلق وفي المرأة طلق للفرق بين المعنيين والأصل واحد.

«الفرق» بين الكَفِّ والإِحْجَام، أن الإحجام هو الكفُّ عما يسبق فعله خاصة، يقال: أحجم عن القتال ولا يقال أحجم عن الأكل والشرب.

(١) تَرِيكة، وتَرْكة بمعنى واحد، وهي البيضة بعد أن يخرج منها الفَرْخ، وجمع تريكة ترائك، وتُرُك، وجمع تَرْكة: تَرْك.

«الفرق» بين الإقدام والتقحُّم[1] أن التقحُّم الإقدام في المضيق بشدة، يقال: تقحَّم في الغار، وقتحَّم بين الأقران ولا يقال أقْدَم في الغار، وأصل التقحُّم الإقدام على القحم، وهي الأمور الشديدة واحدها قحْمة، والإقدام هو حمل النفس على المكروه من قدام، ويخالف التقدم في المعنى، لأن التقدم يكون في المكروه والمحبوب، والإقدام لا يكون إلا على المكروه.

«الفرق» بين المنْع والصَّدِّ أن الصد هو المنع عن قصد الشيء خاصة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[الأنفال: ٣٤] أي يمنعون الناس عن قصده، والمنع يكون في ذلك وغيره، ألَا تَرى أنه يقال: منع الحائط عن المَيْل ولا يقال صَدَّه عن الميل؟ لأن الحائط لا قَصْدَ له، ويقولون: صَدَّني عن لقائك يريد عن قصد لقائك، وهذا بيِّنٌ.

«الفرق» بين قولك: «منعتُه عن الفعْلِ» وبين قولك: «ثنيتُه عنه» أن المنع يكون عن إيجاد الفعل، والثَّنْي لا يكون إلا المنع عن إتمام الفعل، تقول: ثنيتُه عنه إذا كان قد ابتدأه فمنعته عن إتمامه واستبقائه، وإلى هذا يرجع الاستثناء في الكلام لأنك إذا قلت: «ضربتُ القومَ إلا زيدًا» فقد أخبرتَ أن الضرب قد استمر في القوم دون زيد، فكأنك أطْلَقْتَ الضَّرْبَ حتى إذا استمر في القوم ثنيته فلم يصل إلى زيد.

«الفرق» بين الرَّدِّ والرَّجْع أنه يجوز أن ترجعه من غير كراهة له، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٣] ولا يجوز أن تردَّه إلَّا إذا كرهت حاله، ولهذا يُسمَّى البَهْرج[2] ردًا ولم يسمَّ رجْعًا، هذا أصله ثم ربما استعملت إحدى الكلمتين موضع الأخرى لقُرْب معناهما.

«الفرق» بين الرَّدِّ والرَّفْع، أن الردَّ لا يكون إلا إلى خلف، والرفع يكون إلى قُدَّام وإلى خلف جميعًا.

ومِمَّا يَجْرِي مَعَ هَذَا

«الفرق» بين الحَصْر والحَبْسِ أن الحصْرَ هو الحبْسُ مع التَّضْييق، يقال: حصرهم في البلد؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد منعهم عن الانفساح في الرَّعْي والتصرُّف في الأمور ويقال: حَبَسَ الرجلَ عن حاجته، وفي الحبس إذا منعه عن التصرُّف فيها، ولا يقال: حصر في هذا المعنى

(١) قَحَمَ قَحْمًا: أي دنا، وأقْحَم فلانًا في الأمر: أدخله فيه بغير رويَّة.
(٢) البهْرج: بهرجَ الكلام وغيره، أي زيَّفهُ وردَّه لزيْفه، والبهْرج: الباطل

دون أن يضيق عليه وهو في حصار أي ضيق، والحصر: احتباس النَّجْو كأنه من ضيق المخرج، كذا قال أهل اللغة، ويجوز أن يقال: إن الحبس يكون لمن تمكنت منه والحصر لمن لم تتمكن منه، وذلك أنك إذا حاصرت أهل بلد في البلد، فإنك لم تتمكن منهم، وإنما تتوصَّل بالحصْر إلى التمكُّن منهم، والحصر في هذا سبب التمكُّن، والحبس يكون بعد التمكُّن.

«الفرق» بين الحَصْر والإحْصَار. قالوا: الإحصار في اللغة مَنْعٌ بغير حَبْس، والحصر: المنع بالحبس قال الكسائي: ما كان من المرض قيل فيه أحصر، وقال أبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذَهاب نفقة، قيل فيه أُحْصِر، وما كان من سجن أو حبس قيل فيه: حَصْرٌ فهو مَحْصُور، وقال المبرد: هذا صحيح وإذا حبس الرجلُ الرجلَ قيل: حَبَسَهُ وإذا فعل به فعلًا عرَّضه به لأن يُحْبس قيل: أحْبَسَه، وإذا عرَّضه للقتل قيل: أقتله، وسَقَاه إذا أعْطَاه إناءً يشرب منه وأسْقَاه إذا جعل له سُقْيا، وقَبَره إذا تولَّى دَفْنه، وأقبره: جَعل له قبرًا فمعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة:١٩٦] عَرَضَ لكم شيء يكون سببًا لفوات الحجِّ.

«الفرق» بين الوَهْن والضَّعْف أن الضُّعف ضد القوة، وهو من فعل الله تعالى كما أن القوة من فعل الله، تقول: خَلَقَهُ اللهُ ضعيفًا أو خَلقه قويًّا، وفي القرآن ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء:٢٨] والوَهْن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، تقول: وَهِنَ في الأمر يَهِنُ وَهْنًا وهو واهِنٌ إذا أخذ فيه أخذ الضعيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[آل عمران:١٣٩] أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه بتذليل الله إيَّاه لكم، ويدل على صحة ما قلنا: أنه لا يُقال: «خَلقهُ اللهُ واهنًا» كما يقال: «خَلقَهُ اللهُ ضعيفًا»، وقد يُستعمل الضعف مكان الوهن مجازًا في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾[آل عمران:١٤٦]، أي لم يفعلوا فعل الضَّعيف، ويجوز أن يُقال: إن الوهنَ هو انْكِسَار الحدِّ والخوف ونحوه، والضعف نقصان القوة، وأمَّا الاسْتِكانة فقيل هي: إظْهار الضُّعف، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦] أي لم يضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة، قال الخليل: إن الوهن: الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه، يقال: وهَنَ الْعَظْمُ يَهِن وَهْنًا وأوْهَنه مُوهِنَةٌ ورجل واهِنٌ في الأمر والعمل ومَوْهُون في العظم والبدن والمُوهِن لغة والوَهِين بلغة أهل مصر: رجل يكون مع الأجير يحثُّه على العمل.

«الفرق» بين الضُّعْف والضَّعْف أن الضُّعف بالضم يكون في الجسد خاصة وهو من قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم:٥٤] والضَّعْف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل، يقال: في رأيه ضَعْف ولا يقال فيه ضُعْف كما يقال في جسمه ضُعْف وضَعْف.